

## الحلقة الواحدة والعشرون

## أقوال المسيح

## برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

كل منا أعزائي يرغب أن يعيش في وئام وسلام مع جميع الناس المحيطين به، لا سيما من أهل وأشقاء وأصدقاء وزملاء. لكن المشاكل عادة ما تحدث، حتى بين أفراد الأسرة الواحدة، والأصدقاء والزملاء، ويصعب الحفاظ على الوئام والمحبة بشكل مستمر. وهناك بالطبع أسباب عديدة للخلافات التي تحدث في الأسرة الواحدة، أو بين الأصدقاء والزملاء، يصعب حصرها. ولعل إحدى هذه الأسباب هي محاولة البعض فرض سيطرته أو رأيه على الآخرين، وعدم إعطاءهم المجال لكي يفكروا بحرية، ويختاروا الطريق الذي يريدونه.

هل تعلم مستمعي أن الإيمان بالمخلص المسيح قد يسبب خلافات عميقة في الأسرة الواحدة؟ وبين الأصدقاء والزملاء؟ إذ قد يُعتبر هذا الإيمان خروجاً عن التقاليد الموروثة، وتمرداً على المعتقدات الدينية، لا بل تحدياً للمجتمع؟ ويسبب بالتالي مشاكل عديدة لا تُحصى.

ولقد تحدّث المخلص المسيح عن هذا الموضوع بالذات فقال: «لَا تَنْظُنُوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْفِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْفِي سَلَامًا بَلْ سَيْفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأَفْرِقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ، وَالْإِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا، وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ» (بشارة متى ١٠: ٣٤-٣٦). فماذا قصد المسيح بهذا التصريح الهام؟ وهل هو فعلاً لم يأت ليصنع السلام كما هو متعارف عليه؟ وكيف به يُلقي سيفاً أي صراعاً بدل السلام؟ وهل هو حقاً يفرّق الابن ضد أبيه، والبنات ضد أمهاتهن؟ ولماذا صرّح: أن أعداء الإنسان هم أهل بيته؟

أجل مستمعي، هل من المعقول أن يكون المخلص المسيح قد أتى لينزع السلام بين أفراد الأسرة الواحدة، وليحلّ السيف بينهم؟ إنه بالفعل تصريح خطير. لكن عليك قبل أن تصل إلى بعض الاستنتاجات الخاطئة، أن تعرف ماذا قصد المسيح بهذا التصريح؟

لقد تتبأ النبي إشعياء وقبل مئات السنين عن المسيح المخلص الآتي، أنه سيكون رئيس السلام، أي ملك السلام. لا بل إن المسيح نفسه صرّح قائلاً: «طوبى لصانعي السلام. لأنهم أبناء الله يُدعون» (بشارة متى ٥:٩). وتحدّث إلى تلاميذه قائلاً: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم.» (بشارة يوحنا ١٤:٢٧). فهل من المعقول أن المسيح الذي هو ملك السلام، والذي منح الطوبى لصانعي السلام، ودعاهم بأبناء الله، والذي قال لتلاميذه: سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم، هل من المعقول أن يصرّح أنه لم يأت ليلقي سلاماً بل سيفاً، وأنه جاء ليفزّق الإنسان ضد أهل بيته. وأن أعداء الإنسان هم أهل بيته؟

للإجابة عن هذه التساؤلات الهامة، ولحل هذا الإشكال والتناقض الذي بدا في تصريحات المسيح، علينا أن نوضح أن المسيح قد كشف في تصريحه الذي نتداوله الآن، عما سيحدث عندما يؤمن أي شخص بالمخلص المسيح. وكيف أن أفراد العائلة الآخرين سيقفون ضده ويحاربونه بشدة. وفي هذه الحالة يكون دخول المخلص المسيح إلى البيت، قد سبّب انقساماً ونزاعاً بين أفرادهم. وهكذا يحل السيف بدل السلام، والنزاع والخلاف بدل التفاهم والوئام، وهو بالضبط ما قصده المخلص المسيح في تصريحه هذا. وهذا لا يتناقض أبداً مع تصريحاته الأخرى التي تؤكد على أهمية صنع السلام.

أليس هذا ما يحصل في عالمنا العربي عندما يؤمن أي فرد في العائلة بالمخلص المسيح؟ فالأب يقوم ضد ابنه، وكذلك الأم ضد ابنتها إذا آمنت بالمسيح. وهكذا يسود النزاع العائلة الواحدة. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، إذ يضطهد الصديق صديقه والزميل زميله، وكذلك المجتمع يضطهد كل من يؤمن بالمسيح.

مستمعي الكريم، أليس أمراً غريباً أن يتدخل الناس في شؤون بعضهم البعض؟ ولماذا لا تُترك الحرية للفرد لكي يقرر عن نفسه؟ وماذا سيضير الآخرين لو آمن أحدهم بأمير يختلف عن إيمان الناس من حوله؟ ولماذا لا يلجأ الناس عادة إلى وسائل الاقتناع من حوار هادئ ومنطق مقنع؟ إن الحجة تقابل بالبرهان والدليل، وليس بالعنف أو الاضطهاد. وهل يظن البعض أنهم بالعنف يستطيعون اقناع الشخص أو إعادته إلى الطريق الذي كان سائراً عليه؟ بينما الذي يحصل عادة هو أن العنف والاضطهاد يزيد من قناعة الشخص بالطريق الجديد الذي سلكه، وليس العكس.

هل تعلم مستمعي أن عملية الإيمان بالمخلص المسيح هي من عمل روح الله القدوس؟ فالروح القدس هو الذي يقنع المرء أنه خاطئ، وأنه بحاجة إلى خلاص المسيح، وهو الذي يغيّر قلبه من الداخل، ويجعله بالتالي إنساناً جديداً. فكيف بهذا الإنسان بعد أن اختبر خلاص الله المجيد يعود عنه؟ وهذا الأمر لا يدرك سرّه الناس المحيطون به، ظانين أن الموضوع مجرد نزوة أو خدعة وقع بها هذا الشخص. ولهذا يحاولون ثنيهم عنه بأية وسيلة كانت، تصل إلى حد التهديد بالقتل. لكنهم يتفاجؤون عندما يصر هذا الإنسان على موقفه، إذ هو عرف اختباراً عجيباً بدّل حياته رأساً على عقب.

وهذا الاختبار بالذات وحلول الروح القدس في داخله، هو الذي يعطيه القوة لكي يواجه الاضطهاد لا بل الموت بفرح وشجاعة. إذن إن المخلص المسيح كان يشير أن مجيئه سيفرق بين أفراد العائلة الواحدة، عندما يؤمن به أحد أفرادها. وهذا هو السيف الذي قصده. ولكن في نفس الوقت إن المسيح هو ملك السلام، الذي دعا إلى السلام وحثّ عليه، لا بل هو معطي السلام الحقيقي لكل من يؤمن به.

فهل تراك مستمعي تؤمن بهذا المخلص الفريد العجيب؟ وهكذا تحظى بسلام القلب والغفران الكامل عن خطاياك، وتنال الحياة الأبدية، وتستطيع بالتالي مواجهة أي اضطهاد.